فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من برنامج "رمضان قرب يلا نقرب ٣"

أنت أنت

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ :د. خالد الحداد

رابط الـمادة : http://way2allah.com/khotab-item-132036.htm

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:

كل واحد فينا في طريقه للسير إلى الله بيكون له وِجهة، قِبلة، مُراد، اتجاه، بيسير فيه إلى الله. بعض الناس بعد فترة من الطريق بيبدأ يِحود يمين، أو يِحود شمال، قِبلة قلبه تتغير، ميبقاش عارف هو راح فين أو جه منين!

الإمام أحمد سُئِلَ سؤالًا فصيحًا، قال له أحدهم: "يا أبا عبد الله، رجلان يقومان الليل؛ رجل يطيل القنوت (الوقوف)، ورجل يطيل السجود، فأيهما أفضل؟ فنظر إلى السماء وقال: أنصحهما لله أحبهما لله".

القرب من الله –سبحانه وتعالى– يا جماعة مش بالكيلو، ولا بالكمية، القرب من الله معنى قلبي؛ أن يطَّلِع الله على قلبك فلا يرى فيه سواه.

الفضيل بن عياض قال لابنه يومًا: "يا بني، لأعلمنك كلمة لو علمتها هي خيرٌ لك من الدنيا وما فيها؛ لو علِمَ الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لم يعد فيه غيره، ما سألته شيئًا إلا أعطاك". إن من تمام النُسُك أن تُخرِج كل شيء من قلبك سوى الله.

النبي –صلَّى الله عليه وسلم– كان لما يصحى من النوم يبص يقول إيه؟ "اللهمَ ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر" صحيح ابن حبان. كان يقوم بالليل يدعي في سجوده يقول: "أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظَّاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ، اقضِ عنِّي الدَّين، وأغنِني منَ الفقرِ" صحيح الترمذي.

النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لمَّا نهى عن التبقّر في المال؛ إن إنت يبقى ليك مال هنا ومال هنا، ومال هنا ومال هنا ومال هنا، ده نوع من أنواع تشعب الهموم والبعد عن ربنا.

الهموم بتتشعب وبتبعد، وملّا الهموم والانشغالات بتطغى على صاحبها، تجده حزين، مهموم، مغموم، يشكو الفقر وهو مُسربل بالنعيم، ويشكو المرض وهو صحيح يرتع في العافية، ويشكو العمى وهو مبصر، ويشكو الضيق وهو بين القصور يمرح ويفرح. وصدق ربي لما قال: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" الحج:٤٦. وكل ما الهموم تزيد، جوعه يزيد، جوعه هنا ليس جوع جوعه، ولكن جوع القلب.

جوع القلب

جوع القلب عند انفراط عِقده على يد من حوله ويا ليتهم رضُوا، وإنما كلما أسخط الله زادهم سخطًا، زادهم بعدًا، زادهم قنوطًا، زادهم تأففًا وضجرًا منه، ويزداد هو جوعًا، وناره تتأجج، وتتأجج، وتتأجج، وتتأجج. إنك إذا اتكَّلت على مالك، على علمك، على أهلك، على أي شيء، وكلك الله –عز وجل– إليه؛ تأديبًا وتهذيبًا، فسكون القلب لغير الله نوعٌ من تعجيل العقوبة بالدنيا، عقوبة.

سهل بن عبد الله التستُري –رحمه الله– بيقول كلمة جميلة أوي، صَلِّ على النبي –عليه الصلاة والسلام–، بيقول: "إن الله –عز وجل– مطلعٌ على عباده كل يوم؛ فأيما قلبٍ اطلع عليه فرأى فيه غيره سلط عليه إبليس"، يسلط عليه إبليس؛ فعندما يتسلط إبليس على قلبك المسكين، الطيب، الذي كان في مبتداه أصلًا يريد الله، يريد أن يصلَ إليه، لمّا إبليس يُسلَّط على قلبك يَسُد عنه نظره، ويُعَمِّي عنه عينه؛ فيرى أن كل النعم منسوبة إلى نفسك، أو حتى إلى غيرك، فيعمى قلبك، يعمى قلبك.

أحد العابدات كانت بتقول: "والله إن عمى القلب أشد من عمى العين، ولوددت أن الله –عز وجل– قد وهب لي محبته وما ترك لي من جارحةٍ إلا أخذها". إن حتى العارفين بالله لمّا كان بيأتيهم مش نعمة، لمّا كان بيأتيهم مُصاب من الله –سبحانه وتعالى– بيستلذوا بهذا المُصَاب، فأشد الناس ضجرًا عند المصيبة أشدهم تعلقًا بالدنيا.

حال أرباب القلوب والمعرفة بالله –سبحانه وتعالى–

لكن أرباب القلوب، أصحاب المعرفة بالله –سبحانه وتعالى– لما بيأتيهم مُصَاب من الله –عز وجل– بيستلذوا هذا المُصَاب، فإن المرَّ يُستلَذ من كف الحبيب، بل قد تجدُ في عذابه عذوبة، حتى قال بعضهم: "وتلِذُني الآلام إذ أنت مُسقمي"، الآلام بتُلذني؛ لأن إنتَ اللي بتمرضني.

وتُلذني الآلام إذ أنت مُسقمي *** وإن تمتحنني فهي عندي صنائعُ.

تحَّكم بما تهواه فإنني *** فقيرٌ لسلطان المحبة خاضع.

لما كان مصعب بن الزبير في إمارته، وجاء إليه رجل يشكو عريف الأنصار (قائد الأنصار)، فجاء به بين يديه، وهَمَّ به أن يفتك به، فدخل سيدنا أنس بن مالك عليه، قال له: "يا مصعب، إني سمعت رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم– يقول: استوصوا بالأنصارِ خيرًا فأقبلوا من محسنهم واعفوا وتجاوزوا عن سيئِهم، فقام مصعب وألقى خده على الأرض، وأزق خده بالبساط وقال: أمر رسول الله على العَين والرأس ثم تركه وعفا عنه، تركه وعفا عنه".

الحديث "بلغ مصعبَ بنَ الزبيرِ عن عريفِ الأنصارِ شيءٌ فهمَّ به فدخل عليه أنسُ بنُ مالك فقال له: سمعتُ رسولَ اللهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– يقول: استَوصُوا بالأنصار خيرًا أو قال: معروفًا، اقبَلوا من مُحسنِهم وتجاوَزوا عن مُسيئِهم، فألقى مصعبٌ نفسَه عن سريرِه وألزقَ خدَّه بالبساطِ وقال: أَمْرُ رسولُ اللهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– على الرأسِ والعينِ فتركه" السلسلة الصحيحة.

محمد بن سعد التيمي يقول: "مررت على فتًى يتعبد في بعض سواحل الشام بمفرده، فقلت له: يا فتى، منذ متى وأنت تتعبد؟ فنظر إليّ مستغربًا وقال: لا أدري، قلت له: لا تدري؟! قال: يا سيدي، من القبيح على من يُحب أن يُحصي على محبوبه أوقات خدمته إليه"، ثم نظر إلى السماء وأنشد قائلًا :

وإِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَ الْمُحِبِينَ سَلْوَةٌ *** فَحُبُكَ لِي حَتَّى الْمَمَاتِ قَرِينُ.

سَأُعطيك وُدِي مَا حَيِيتُ وإن أنا *** متُ فعَظْمِي لك فِي التُّرَابِ دَفِينُ.

ابن القيِّم –رحمه الله– بيقول: "ارجع إلى ربك، واطلبه من سمعك وبصرك وقلبك وعينك؛ فإنه ما رجع من رجع إلا من هؤلاء الأربع، وما شرد من شرد إلا من هؤلاء الأربع؛ فالمؤمن يسمع ويُبصرُ ويبطش بمولاه، والمخذول يصدر كل ذلك بنفسه وهواه".

قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–: "لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير" صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ارجع وكفاية أوي كده.

عُتبة الغلام وقف يومًا يقول: "إن من عرِف الله أطاعه، ومن أطاعه أكرمه، ومن أكرمه أسكنه بجواره، ومن أسكنه بجواره فطوباه، ثم طوباه، ثم طوباه، ثم طوباه"، ولم يزل يقول فطوباه حتى خرَّ مغشيًا عليه.

ارجع وكفاية أوي كده

ارجع لربنا، ملكش غيره، ارجع وإحنا في أوان الرجوع، ارجع إليه واستطرح على بابه، وارفع قلبك إليه، وقل له: إلهي وسيدي وحبيبي، يا حبيب التائبين، ويا سرور العابدين، ويا حِرز اللاجئين، ويا ظهير المنقطعين، أنت معاذي وملاذي، كل فرحٍ بغيرك زائل، وكل سرورٍ بغيرك باطل؛ فالسرور كل السرور بك، والسرور بغيرك هو عَين الزور والغرور والله.

اللهمَّ لا تجعل أُنسنا إلا بك، ولا تجعل حاجتنا إلا في التذلل إليك، اللهم خذ بأيدينا ونواصينا أخذ الكِرام عليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله، وتفضلوا هنا:-
http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36